بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، أمَّا بعد:

فيبحث كثير من الناس عن كلمات الشكر والثناء، ويجتهدون في انتقاء العبارات المعبرة عن الاعتراف بالجميل ورد المعروف، ولا شك أنَّ هذا من الشكر الذي جاء ديننا الإسلامي بالحث عليه، والترغيب فيه، والدعوة إليه.

ومن المعلوم أنَّ اختيار الألفاظ المناسبة لشكر المعروف مما يُحمد الناس عليه، ويُثابون عليه -إن احتسبوا-، قال ﷺ: «**مَن أُعطِي عطاءً فوجد فليَجْز به، ومَن لم يجد فليُثْنِ، فإنَّ مَن أثنى فقد شكر، ومَن كتم فقد كفر**»[١].

إلَّا أنَّ المسلم الملازم لسُنَّة النبي ﷺ والسالك لصراط الله المستقيم يسير مع هدي النبي ﷺ في اختيار ألفاظه، وانتقاء كلماته للتعبير عن المعروف الذي أُسدي إليه، والإحسان الذي قُدِّم له.

قال تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، ومن القول الحسن والكَلِم الطيِّب الذي يُبذل للناس قول: «**جزاك الله خيراً**»، فإنَّ هذا من أطيب القول وأجمله، وأعذبه وأكمله.

وكيف لا يكون كذلك وفيه الأجور المضاعفة، والحسنات الزائدة، وفيه المكافأة على صنيع المعروف، والمبالغة في الثناء على فاعله.

[١] رواه الترمذي (٢٠٣٤)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٦٨).

وقول: «**جزاك الله خيراً**» من أعظم أبواب شكر الناس ومجازاتهم على صنيعهم الخير، بل إنه من أكمل ما يُبذل من الدعاء للناس.

وهذه الكلمة العظيمة فيها اعتراف بالتقصير، وعجز عن الجزاء، وفيها تفويض الجزاء إلى الله تعالى ليجزي صانع المعروف أوفى الجزاء وأتمه[١].

وهذه المعاني أجملها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ في قوله: «**لو يَعلَم أحدكم ما له في قوله لأخيه: جزاك الله خيراً، لأكثرَ منها بعضكم لبعض**»[٢].

ومن الثواب الذي أشار إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ في فضل هذه الكلمة واستعمالها ما رواه أسامة بن زيد ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**مَن صُنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيراً؛ فقد أبلغ في الثناء**»[٣].

أي: قال مَن أُسدي إليه المعروف بعد عجزه عن إثابته وجزائه: «**جزاك الله خيراً**» أي: خير الجزاء وأكمله، أو أعطاك خيراً مِن خيري الدنيا والآخرة، «**فقد أبلغ في الثناء**» أي: بالغ في ثنائه على فاعل المعروف من حيث شكره ومجازاته على إحسانه، حيث اعترف بتقصيره عن أداء حقه وأنه عاجز عن جزائه وردِّ جميله، ففوض جزاءه إلى الله ليجزيه الجزاء الأوفى والأكمل والأتم[٤].

ولقد عُني سلفنا الصالح بهذه الكلمة وتداولوها فيما بينهم رغبةً في الفوز بثوابها وخيراتها، من ذلك ما جاء عن عائشة ﷺ: أنها

[١] انظر: أحاديث الأخلاق للبدر (ص:١٤٨).
[٢] رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٥١٩).
[٣] رواه الترمذي (٢٠٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٦٩).
[٤] انظر: دليل الفالحين (٧/ ٣٠٠).

استعارت من أسماء قلادةً فهلَكَتْ[١]، فأرسل رسول الله ﷺ ناساً من أصحابه في طلبها، فأدركتهم الصلاة، فصلَّوا بغير وضوء، فلمَّا أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التيمم، فقال: أُسَيد بن حُضَير: **جزاكِ الله خيراً**، فوالله ما نزل بكِ أمر قط، إلَّا جعل الله لكِ منه مخرجاً، وجعل للمسلمين فيه بركة[٢].

وعن ابن عمر ﷺ قال: «**حضرتُ أبي حين أُصيب، فأثنوا عليه وقالوا: جزاك الله خيراً**»[٣].

وجاءت امرأة إلى سفيان الثوري ﷺ: فشكَتْ إليه ابنها، وقالت: يا أبا عبد الله أجيئك به تعظه؟ فقال: نعم، جيئي به، فجاءت به، فوعظه سفيان بما شاء الله، فانصرف الفتى، فعادت المرأة بعد ما شاء الله فقالت: **جزاك الله خيراً** يا أبا عبد الله، وذكرَتْ بعض ما تحب من أمر ابنها[٤].

وعن أبي مُرَّة: أنه ركب مع أبي هريرة إلى أرضه بالعقيق، فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته: «**عليكِ السلام ورحمة الله وبركاته يا أُثَيَّاه**»، تقول: «**وعليكَ السلام ورحمة الله وبركاته**»، يقول: «**رحمكِ الله كما ربَّيْتني صغيراً**»، فتقول: «**يا بُنيَّ، وأنتَ فجزاكَ الله خيراً ورضي عنكَ كما برَرْتني كبيراً**»[٥].

ومن اللطائف في هذه الكلمة: أنَّ العمل الصالح يقولها لصاحبه في القبر، حيث ورد أنه: «**يُمثَّل له رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيِّب الريح، فيقول: أبشِرْ بالذي يسرُّك، أبشِرْ برضوان من الله،**

[١] أي: ضاعت.
[٢] رواه البخاري (٣٧٧٣)، ومسلم (٣٦٧).
[٣] رواه مسلم (١٨٢٣).
[٤] رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٦٦).
[٥] رواه البخاري في الأدب المفرد (١٤)، وحسَّن إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد (١١).

وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنتَ توعد، فيقول له: وأنت فبشَّرك الله بخير مَن أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فوالله ما علمتك إلَّا كنتَ سريعًا في طاعة الله، بطيئًا في معصية الله، فجزاك الله خيراً»[1].

ويتبيَّن مما تقدَّم أنَّ مَن أتى بهذه اللفظة كما وردت استفاد عدَّة فوائد:

منها: إصابة السُّنة وموافقة هدي النبي ﷺ في استعمالها.

ومنها: الفوز بالأجر المطلق الذي لم يُحدَّد في قوله: «خيراً»، وبهذا يُدرك المرء الخير بحذافيره.

ومنها: موافقة هدي السلف الصالح عند الإتيان بهذه الكلمة.

ومنها: المبالغة في الثناء والدعاء وشكر المعروف.

ومنها: الاعتراف بالتقصير عن أداء حق صانع المعروف، حيث إنه بِقَول: «جزاك الله خيراً»؛ أظهر عجزه عن جزائه، واعترف بتقصيره عن أداء حقه، ففوض الجزاء إلى الله تعالى وحده.

وبما تقدَّم يُعلَم خطأ ما عليه بعض الناس من تقييد هذه الكلمة عند إطلاقها بقولهم: «**جزاك الله ألف خير**»، ظنّاً منهم أنَّ بقولهم: «**جزاك الله ألف خير**» يُكثِرون الدعاء لمن صنع إليهم معروفاً.

وهذا خطأ لِمَا يأتي:

أولاً: أنَّ النبي ﷺ لم يُقيِّد الخير بعدد معيَّن لا بألف ولا مائة ولا مليون، فكمال الاتِّباع له ﷺ أن يقول المرء كما قال ﷺ ودلَّ عليه.

ثانيًا: أنَّ قول: «جزاك الله خيراً» أبلغ من قول: «جزاك الله ألف خير»؛ لأن قول: «جزاك الله خيراً» يشمل كل خير في الدنيا والآخرة،

[1] رواه الإمام أحمد (١٨٥٣٤) مختصراً، والحاكم (١٠٧) مختصراً، وانظر: أحكام الجنائز للألباني (ص:٦٧).

حيث إنَّ «خيراً» جاءت نكرة في سياق الدعاء فتفيد العموم وكثرة الجزاء وعظمته، وأمَّا قول: «جزاك الله ألف خير» ففيه تحديد وتقييد للخير الذي يُدعى به لصانع المعروف، وهذا فيه نوع تحكم في النص الذي جاء مطلقاً عن النبي ﷺ، وهذا فيه نوع استدراك على نبيِّنا ﷺ.

ثالثًا: أنَّ التقيُّد بعدد معيَّن عند إطلاق هذه الكلمة مخالف لِمَا عليه السلف الصالح؛ فإنهم لم يؤثر عنهم هذا التقييد، والآثار المتقدمة عنهم شاهدة بذلك.

وهكذا كل لفظ خرج عند إطلاقِهِ عن سُنَّة النبي ﷺ وما عليه أصحابه ﷺ فلا بد أن يقع في محظور المخالفة الشرعية.

وبناءً على ما سبق يتبيَّن جمال الألفاظ وكمال الكلمات التي دلَّ عليها النبي ﷺ، وأنها أحسن الألفاظ وألطفها، وهذا من الأدب الذي جاء به ﷺ وأرشد أُمَّته إليه؛ فإنَّ ما جاء به من الأدب هو الميزان الذي تُعرض عليه الأقوال والأعمال.

قال الإمام سفيان بن عيينة ﷺ: «إنَّ رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر، فعليه تُعرض الأشياء؛ على خُلُقه، وسيرته، وهديه، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل»[1].

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

[1] رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٨).

جَزَاكَ ٱللَّهُ خَيْرًا

السُّنَّة
يوسف بن حسن الحمادي

www.baynoonanet.net
@BaynoonanetUAE
@Baynoonanet